تأثير تكنولوجيا التواصل الجديدة في الكتابة والتحدث والقراءة

The Effect of new communication Technology on writing, speaking and reading

[1] *د. سليم مزهود

[1]-المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف، ميلة (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2021/01/12؛ **تاريخ المراجعة**: 2021/01/25؛ **تاريخ القبول**: 2021/05/27

ملخص:

كثيرا ما أثارت اللغة الجديدة المستعملة في التكنولوجيا عبر الإنترنت والوسائط المتعددة انتباه أهل اللغة واهتماماتهم، في إطار توظيف بيانات اللغة لأغراض البحث والتعليم، وتأثر كثير من الناس بهذه اللغة نتيجة استعمالها اليومي من خلال الكتابة بها، وقراءة المنشورات الالكترونية واستخدامها في مجتمع الكلام

يهدف المقال إلى الكشف عن تأثير تكنولوجيا التواصل الجديدة على الاستعمال اللغوي لدى المستخدمين في كتابتهم وتحدثهم وقراءتهم. إذ استطاعت هذه التكنولوجيا أن تؤثّر على مختلف وسائل الإعلام، التلفزيونية والإذاعية ومواقع التواصل الاجتماعي، ومجمعات الأخبار عبر صفحات الويب، وكوّنت علاقات بين جمهور غير مرئي وغير معروف، ودورها في تشكيل الشخصية الاجتماعية الجديدة، ولغة الاستعمال الالكتروني في مواقع التواصل الاجتماعي الذي أسهم في التقليل من احترام اللغة الأكاديمية الرسمية ومن ثمَّ تدهور الحديث باللغة في قواعدها الصرفية والنحوية، وبالتالي نتساءل: هل نعتبر هذه اللغة الجديدة لغة تقنية؟ وكيف تؤثر تقنيات الوسائط الجديدة على طريقة التحدث والقراءة والكتابة؟

الكلمات المفتاح : تكنولوجيا؛ لغة جديدة؛ تواصل اجتماعي؛ تحدث شفوي؛ كتابة.

Abstract:

The new language used in technology via the Internet and multimedia has often aroused the attention of the people of the language and their interests, in the context of using language data for research and education purposes. Many people have been affected by this language as a result of its daily use through writing in it, reading electronic publications and using them in the speech community

The article aims to reveal the impact of new communication technology on the linguistic use of users in writing, speaking and reading. As this technology was able to affect various media outlets, television and radio, social networking sites, and all the news (RSS) in the web pages, Its formed relationships between an invisible and unknown audience, and its role in forming the new social personality, and the electronic usage language in social networking sites, which led to the disrespect the official academic language and therefore the deterioration of speech in the language in its morphological and grammatical rules, so we wonder: Is this new language a technical language? How do new media technologies affect the way we speak, read and write**?**

Keywords: Technology, New Language, Social Media, Oral, Writing

* المؤلف المرسل: الإيميل: salimsimez@gmail.com

1. مقدمة:

أصبح بإمكان مستخدمي الأجهزة الالكترونية قراءة الخبر الإعلامي بشكل آلي وكذا كتابة الأخبار آليا من خلال التحدث إلى الجهاز، بمجرد الضغط على أحد أزرار لوحة التحكم، فقد أدى البحث التقني إلى تطوير الآلات الالكترونية الرقمية، وجعلها قادرة على فهم لغات البشر والتحدث إليها، كما هو حاصل في برنامج "مساعد Google".

لقد أصبح في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين الاستماع إلى الأصوات الآلية وتقنيات الكلام والتفاعل معها حدثًا مألوفًا حينها.

وفي هذا كنت قد قرأت سابقا في صحيفة نيويورك تايمز الصادرة في جوان 2006م، مقالا بعنوان "أصوات في الهواء" للإعلامي الكاتب مارك ألان، يحكي فيه عن إعلانات مترو أنفاق نيويورك، وكيف قد صار صوتا إلكترونيا مألوفا بالنسبة إليه فقال: "بدأت علاقتي الأولى منذ أكثر من عقد، التقينا في محطة مترو أنفاق شارع ديلانسي ، حيث كنت أستقلّ القطار للعمل كلّ صباح، وبعد أنْ دخلت البوابة الدوّارة وسرت على الرصيف، بعيدًا عن رؤية أعين المراقبة، سمعتُ صوت طقطقة يتأرجح، يأتي من خلال مكبرات الصوت العلوية، ارتفع صوتها في جميع أنحاء المحطة، وبدا مثل الآلهة. لقد أصبحتُ صديقًا لهذا الأصوات، ويبدو أنها تعيش داخل الجدران المعدنية والخرسانية في محطة مترو الأنفاق التي كانت تستقبلني كل صباح، بصوت يدق في قلب المدينة نفسها"(Allen, 2006, p.2).

لقد انتشرت مثل هذه الإعلانات الصوتية في الحياة اليومية، نحو إعلانات المصاعد التي تعلن عن وصولنا إلى الأرضية، وأجهزة الصراف الآلية، والمترو، والترامواي، وأنظمة GPS التي توجه السائقين إلى وجهات محددة، ويرشدنا المساعد الصوتي الآلي عبر تطبيقات الهاتف المحمول أو مراكز الاتصال التجارية إلى المكان الذي نريده، إذ تمّ إزاحة الكثير من الأصوات البشرية الحية من العديد من الروتينات اليومية، ولعل أصوات مضيفي الطائرة وربانها، والمستقبلين في شباك حجز التذاكر، هي من الأصوات غير الآلية التي تقدم الإعلانات الصوتية البشرية الحية.

لقد كانت اللغة تعرف بأنها نشاط بشري فردي وجماعي مرتبط بالجانب العقلي والورحي، قبل أن تبرمج الآلة للتحدث والتفاعل، مما يجعلنا نطرح التساؤل الآتي: **هل المساعد الصوتي الآلي كفيل بتحقيق أهداف التواصل البشري؟ ونقل الأخبار وتقديم الخدمات الإعلامية؟، هل غيرت التقنيات الالكترونية والرقمية طريقة الحديث والكتابة في المجال الإعلامي؟**

سوف نحلل هذه المسألة انطلاقا من فرضية أنَّ اللغة هي أيضا وسيلة للتواصل مع تقنيات الوسائط غير البشرية، لنكشف بذلك عن العلاقة بين اللغة وتقنيات الإعلام الجديدة، وكيف يمكن اعتبار اللغة الشفوية والمكتوبة نوعا من تكنولوجيا الإعلام الآلي الصوتي، أو نوعا من تقنيات الوسائط المتعددة.

إن هذا المقال سوف يحاول الإجابة عن هذه التساؤلات باعتماد المنهج الوصفي، انطلاقا من رؤية سيميائية تداولية

2. النظرة السيميائية للغة؛ باعتبارها نظاما رمزيا لتمثيل المعنى والذات:

يسعى المنهج السيميائي إلى شرح كيفية استخدامنا للغة لتمثيل الواقع والأخبار والأفكار والمشاعر والحوادث، ويسمى أحيانا نهج البناء الاجتماعي للغة، الذي طوره مؤسس علم اللغة الحديث؛ اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير (1857–1913م).

ويسعى المنهج السيميائي (علم الإشارات)؛ إلى وصف كيفية استخدامنا اللغة لخلق المعاني في وجودنا وعالمنا، فاللغة هي نظام تمثيل تحكمها قواعد أو أعراف لغوية معينة، ويمكن أن تمتدّ فكرة نظام اللغة إلى ما وراء الكلام والكتابة لتشمل الصور والأصوات الأخرى والسينما وغير ذلك.

ولكننا نتساءل هل نظام التمثيل اللغوي للعربية مثلا يمكنه أن يعكس ببساطة العالم من حولنا مثل ما تفعله المرآة تماما؟ لقد رأى علماء السيميائية، أنّ عالمنا المادي له معنى بالنسبة لمجتمع لغوي يخضع لنظام لغوي محدد، ووفقا لهذا المفهوم؛ فإنّ الواقع ليس خارجيا عن اللغة، ولكنّه يتشكّل جزئيا من خلال اللغة التي نستخدمها، ومن ثمَّ فإنّ اللغة تتوسط بين العالم الخارجي وتفسيراتنا له، وبهذا يمكن اعتبار اللغة نوعًا من الوسائط التكنولوجية، بل أهم الوسائط على الإطلاق.

إنّ اللغة وفق مفهوم دي سوسور هي ظاهرة جماعية، فهي مشتركة؛ لأن جميع مستخدميها يجب أن يشاركوا قواعد ورموز معينة يتعلمونها من أجل التحدث بتلك اللغة ومشاركة المفاهيم حول العالم الخارجي.

وقد استخدم سوسير مصطلح langue للإشارة إلى البنية الأساسية للغة، وهو النظام اللغوي المشترك أو القواعد التي نستخدمها لإنشاء جمل في لغاتنا. وقد اقترح سوسير نظام قواعد لإنتاج المعاني، على أساس أن اللغة هي نظام إشارات تتكون من العلامة اللغوية، وتتشكل اللغة من شكل وصورة، أو صوت وكلمة× إذًا فالعلامات هي عناصر من نظام تمثيل رمزي،ويتم تعريفها فيما يتعلق بالعناصر الأخرى لذلك النظام، انطلاقا من كون اللغة ظاهرة اجتماعية أو مجتمعية، و"إذا كانت العلاقة بين الدال والمدلول نتيجة نظام من الأعراف الاجتماعية الخاصة بكل مجتمع ولحظات تاريخية محددة، فإنّ كل المعاني يتم إنتاجها في التاريخ والثقافة، لا يمكن إصلاحها نهائيًا، ولكنها تخضع دائمًا للتغيير في سياق ثقافي وتاريخي" (Hall, 1997, p.32)

وطوّر عالم اللغة الأمريكي، تشومسكي نهجا لغويا مشابها للنهج السيميائي، وجادل بأنّ إتقان قواعد نظام اللغة يشكّل نوعا من الكفاءة اللغوية، بينما عندنا ننتج أقوالًا فردية في لحظة معينة، فإننا ننخرط في الأداء اللغوي، ويتم تحديد الأداء اللغوي جزئيًا من خلال الكفاءة اللغوية ، والعوامل النفسية والمعرفية مثل الذاكرة (Chomsky, 1967, p.397)

وتعامل سوسير مع اللغة كنظام من القوانين لا يتحكم فيه المتحدثون (Holquist, 1990, p.42). وعارض علماء آخرون وجهة النظر هذه ، مثل الناقد الأدبي الروسي ميخائيل باختين (1895–1975)، الذي طوّر باختين نظرية مختلفة للغة أطلق عليها الحوار، وعارض فكرة أن اللغة تكمن خارج الفرد كنظام رمزي للتمثيل على نفس المنوال، عارض أيضًا فكرة أن الذات تتحكم في المعنى، وبالنسبة إليه إنّ الحوارِ هو الذي يُنتِجُ المعاني، وذلك عندما يتحدث متحدثون مختلفون مع بعضهم البعض.

3. الحوار ينتج اللغة والمعنى:

يعتبر باختين Bakhtin أنّ كلّ نطق لغوي (محادثة كلامية أو مكتوبة)، يفترض وجود شخص ما يستمع أو يقرأ، وشخص آخر يمكنه تفسير ما قيل، وبالتالي، فإنّ كلّ نطق لغوي هو حوار، ويتمّ إنشاء جميع النصوص الخطابية والمكتوبة مع مراعاة الجمهور أو المرسل إليه.

إن تركيز باختين على تنوع المتحدثين له آثار عديدة، إذ إنَّ المعنى يتولّد من الاختلافات بين المتحدثين الذين يدخلون في نوع من الصراع على المعنى في نقاشاتهم وأحاديثهم، وكلّ ما يقولونه يحتمل أنْ يتم تعديله وتكييفه ليصبح ذا أثر إيجابي، إنْ انطلقنا من قاعدة أنّ تنوّع الآراء واختلافها مفيد بشكل عام، وأن المعنى لا يكون صحيحا أو خاطئا في ذاته، حتى يوضع في سياقه المكاني والزماني.

فلنضرب مثالا على ذلك، لو أن إعلاميا من الإكوادور قال: أدّت مجموعة من المؤمنين الصلاة هذا اليوم، فسوف نفهم أنّه يقصد بالمؤمنين، المسيحيين، فإنْ قال الجملة نفسها، إعلامي مسلم من السعودية، فسوف ندرك مباشرة أنه يقصد بالمؤمنين ، المسلمين.

ولذلك فإنّ الحوار والسياق هو الكفيل بكشف هذه المعاني، ولذلك يقوم كثير من الإعلاميين بعمل حوار مع أديب أو عالم أو رجل دولة أو سياسي أو طبيب أو إمام أو رياضي أو حتى إعلامي أو غير ذلك، للكشف عن المقاصد.

يقول باختين: "الكلمة في اللغة نصف كلمة شخص آخر، وتصبح خاصة بالفرد عندما يملؤها المتحدث بقصده الخاص ولهجته الخاصة، فيخصص الكلمة ويكيفها مع نيته الدلالية والتعبيرية، ولم تكن الكلمة موجودة في لغة محايدة، فلا يحصل المتحدث على كلماته إلا من خلال حواره مع الآخرين، فكلماته موجودة في أفواه الآخرين، وسياقات الناس، وخدمة نوايا الآخرين"(Bakhtine, 1981, p.94)

فإذا كانت التفاعلات اللغوية تنطوي على صراع حول المعنى، فيمكن أنْ تتعارض وجهات النظر المختلفة للمتحدثين أيضًا في هذا الصراع، وقد استخدم باختين لوصف هذه السجلات المختلفة للغة والقوة الموجودة في عالمنا اليومي مصطلحَ تغاير اللغة، وقصد به وجود صوتين أو أكثر في تمثيل وجهات النظر المختلفة، حيث يكون المتحدثون ذوو القوة الاجتماعية في وضع يسمح لهم بفرض وجهات نظر معينة على الآخرين.

لكن فرض الرأي على الآخرين يقلل من شأن الحوار، ويحوّل الكلام الذي يفترض أن يكون حواريا إلى ما يشبه المونولوج، أي يصير أحاديا، من جهة واحدة، حيث تسود وجهة نظر واحدة مهيمنة. إلا أن نظرة باختين ترى أنه لا يمكن لأي شخص أو مجموعة بعينها أن تتحكم بشكل أساسي في إنتاج المعنى، فحتى لو كان التفاوت في القوة يسمح لأصوات الأقوياء بالانتصار في لحظة ما، فإن أصوات الآخرين سوف تسعى دائمًا لمقاومة هذه الهيمنة.

4. اللغة الشفوية وتقنية اللغة المكتوبة:

إن للغة الشفوية أو الاتصال المنطوق، خصائص مختلفة جوهريًا عن اللغة المكتوبة، فقد اعتمدت الثقافات البشرية السابقة بالشفهية قبل إدخال تقنية الكتابة، ولكن بمجرد إدخالها، قامت الكتابة بتحويل الثقافة الشفوية إلى ثقافة عامة مُتَعلِّمة. وقد ناقش والتر أونغ walter ong الفكرة فقال:

"إنّ الشخص المتعلم هو إنسان لا تنبثق عمليات تفكيره من قوى طبيعية فحسب، بل من قوى تمّ تنظيمها بشكل مباشرة أو غير مباشر بواسطة تقنية الكتابة" (Ong, 1982,p.77)

إذ إنّ الكتابة هي قبل كل شيء تقنية وسائط، تتطلب أدوات ومعدات، سواء أكانت أقلامًا أم لوحات مفاتيح، لتمثيل الأصوات النشطة المنطوقة للغة الشفوية في المساحة الفارغة للصفحة أو الشاشة (Ong, 1982, p.80)

يرى أونج أنّ تقنية الكتابة تخترق بعمق الأعمال الداخلية لعقل الإنسان المتعلم، إلى حد طريقة تحدث هذا الشخص، ومن دون الكتابة، لن يفكر العقل المثقف، ولا يستطيع التفكير كما يفعل، ليس فقط عندما يكون منخرطا في الكتابة، ولكن حتى عندما يؤلف أفكاره في شكل شفهي" (Ong, 1982, p.77)

ويتناقض فهم أونج للغة المكتوبة كوسيلة بصرية مع نظرة سوسير السابقة، بأن اللغة المكتوبة هي مجرد بديل للدلالات السمعية، "لأن الكتابة تنقل الكلام من الشفهي السمعي إلى عالم حسي جديد، هو عالم الرؤية، بتحويل الكلام والفكر أيضًا"(Ong, 1982,p.84)

5. الصوت والكتابة:

حدث في التاريخ الغربي تحوّل كبير نحو التقليد المكتوب في اليونان القديمة، بتطوير الأبجدية الأساسية التي نستخدمها اليوم. بينما كانت الحضارات السابقة ، مثل السومريين في بلاد ما بين النهرين القديمة، قد طورت أنظمة كتابة متطورة، إلا أن هذه الأنظمة تفتقر إلى خاصية تمثيل حروف العلة، مما سمح للأبجدية الحديثة بالاستمرار في شكلها الأساسي لآلاف السنين، أو ما نعرفه اليوم باسم الأبجدية الصوتية؛ في العربية والعبرية وبقية اللغات السامية الأخرى، حتى يومنا هذا لا تحتوي على أحرف لتمثيل الأصوات الساكنة، وتعويضها بالتشكيل نحو السكون، مما تطلب من القارئ معرفة كيفية التحدث باللغة من أجل نطق الكلمات المكتوبة، مثلا، لفظة: عبَرَ، عِبَر، عَبْر، عَبَّر وما إلى ذلك، للتمكن من ملء الأحرف غير الممثّلة. ورأى ماكلوهان McLuhan "أن الأبجدية الصوتية قد استطاعت بأحرف قليلة فقط، أنْ

تشملَ جميع اللغات، ومع ذلك، فإنّ هذا الإنجاز تضمن فصل كل من الإشارات والأصوات عن معانيها الدلالية والدرامية". (McLuhan,1964, p.90)

من ناحية أخرى ، قدّمت الأبجدية الصوتية قوة مرنة بشكل ملحوظ، تمثّلت في قدرتها على الترجمة بشكل عام، أو ترجمة لغات المجتمعات الشفهية التي لم تطور لغة مكتوبة مصاحبة لها، وبقي الجدل مثارا حول بعض المحاولات لترجمة لغات الأمم الأولى إلى الأبجدية الإنجليزية بخصوص مشكلة من يمكنه التحدث نيابة عن هذه المجتمعات، وهكذا صارت اللغة مساحة متنازع عليها لعلاقات القوة بين الثقافات والجماعات.

لقد مكّنت اللغات المكتوبة من تسجيل كل تلك الكلمات المنطوقة التي تختفي بمجرد نطقها، ولكن لم تختفِ أشكال معينة من اللغة الشفوية، مثل المسرحيات، والأعمال الدرامية، والأفلام، والحصص التلفزيونية والإذاعية، إذ يمكن حفظها الكترونيا وبالتالي تمرير العديد من طرق التحدث من جيل إلى جيل دون الدخول في عالم الاتصالات الكتابية إلا نادرًا. إضافة إلى بعض العادات الغنائية التي ربما لم تسجل حتى الكترونيا، ومع ذلك بقيت ضمن التراث الشفوي المحفوظ نحو أغاني الأطفال أثناء لعبهم معا في الحي، ومنها أغنية: طَبْ طَبْ، مَنْ في البابْ، سِتِّ رَبابْ ...

ورأى ماكلوهان مثل تلميذه والتر أونج بأنّ للأشكال اللغوية المكتوبة – بما في ذلك الكتابة اليدوية والنص المطبوع – بنية مختلفة اختلافًا جوهريًا عن الأشكال اللغوية الشفوية، ويعتقد أن الاتصال الشفوي غير خطي، ينطوي على تبادل متزامن لوجهات النظر، بينما تكون الطباعة خطية ومتسلسلة؛ إذ يأتي حرف تلو آخر وكلمة بعد أخرى، وسطر بعده سطر، على صفحة أو شاشة الكترونية.

ويرى ماكلوهان أنّ التنسيق المتسلسل للغة المكتوبة قد ساعد في إعادة هيكلة الكيفيات التي يتم بها تنظيم الفكر البشري والأنماط الاجتماعية، وزعمَ أنّ الكتابة تميل إلى التأكيد على انفصال أكبر عن عواطفنا وحواسنا، فعلى سبيل المثال، حين أقول تصبح بخير، صوتًا، تحمل كمّا عاطفيا، لا تحمله الجملة المكتوبة في الدردشة (تصبح بخير)، ذلك لأن الصوت يمنح شعورا إضافيا، فربما أقولها بمحبة وهدوء، وربما أقولها للتعبير عن انزعاجي من موقف ما ومن ثمَّ إعلان انصرافي بالقول (تصبح بخير). لكن كتابتها فقط قد لا توصل الرسالة النفسية للجملة.

لقد رأى مارشال ماكلوهان أنّ الكتابة تؤكد الرؤية العينية، بينما يؤكد الكلام الشفوي على السمع والأذن، إذ إنّ الأذن هي العضو المهيمن للتوجيه الحسي والاجتماعي في مجتمعات ما قبل الأبجدية، حين كان للسمع مصداقية كالكتابة في زماننا، فقد أجبرت الأبجدية الصوتية العالم السحري للأذن على الاستسلام لعالم العين المحايد، حتى قيل: أعطى الإنسان عينًا بأذن؛ لكننا لم نعد نعيش في عالم مرئي في المقام الأول، فصارت الأصوات مصاحبة داما، وأحيانا تكون منفصلة عن الرؤية(McLuhan and Fiore, 1967, p. 44).

6. الطباعة الحديثة:

انطلقت التحولات الاجتماعية من الخطابات الشفوية إلى ثقافة الكتابة، ومن الكتابة اليدوية إلى ثقافات الطباعة في عصرنا.

وصفت المؤرخة إليزابيث آيزنشتاين Eisenstein الطباعة الحديثة، بأنها عامل تغيير تكنولوجي يقدّم استخدامات موحدة للغة، مثل الطرق القياسية لتهجئة الكلمات واستخدام علامات الترقيم (Eisenstein, 1979, p.33)

ومع ذلك، لا يتفق علماء آخرون في ثقافة الطباعة على أن تقنيات الطباعة قامت ببساطة بتوحيد ممارسات القراءة والكتابة، وبالتالي حددت المعاني التي نصنعها من النصوص.

لقد كان الكلام الشفوي هو الأكثر استعمالا في التواصل بين الناس، لكن في عالمنا الالكتروني الحالي، صارت الكتابة والرموز والإيقونات تنافس الكلام الشفوي في التواصل الاجتماعي والإنساني الالكتروني.

ويبدو أنَّ أشكال النقل الشفوية والمخطوطة هي أشكال أكثر مرونة وقابلية للتكيف والتواصل البشري، بينما لا تعمل الطباعة بالضرورة على إصلاح النص (Howsam, 2006, p. 51)

7. تمثّل اللغة الإلكترونية الرقمية الجديدة:

كانت الطباعة والكتابة في بداية القرن التاسع عشر تمثل الوسيط الجماهيري المهم والوحيد، في نقل الأخبار والمعلومات ومختلف الأدبيات، ثم تطورت في القرن العشرين العديد من التقنيات الجديدة التي كسرت قبضة الطباعة الخانقة على المعلومات، فتضمنت هذه التقنيات طرقًا جديدة لتسجيل الصوت (الجراموفون) والصور (الأفلام)، وتم الآن إعطاء الأصوات والمشاهد لقنواتها الإعلامية الخاصة، ولم تعد اللغة المكتوبة هي الوسيلة الوحيدة لنقل الصور أو الأصوات، وسجل العالم حينها تدفقات جديدة لوسائط تكنولوجية متعددة، وصار القراء مدركين تماما الاختلافات بين وسائل الاتصال، وأصبحت اللغة والأدب مجرد وسيط واحد من بين كل تلك الوسائط.

ومنذ بداية العصر الكهربائي في منتصف القرن التاسع عشر، أثرت العديد من التقنيات على كيفية استخدامنا اللغةَ المنطوقة والمكتوبة، بما في ذلك التلغراف والهاتف والراديو والمسجل الصوتي، والميكروفون والآلة الكاتبة والتلفزيون ومشغلات MP3 والوسائط الرقمية وغيرها من الوسائط المحمولة، بالإضافة إلى مختلف تقنيات التعرف على الكلام.

لقد أعاد التلغراف صياغة طبيعة اللغة المكتوبة بنوع من اللغة المجردة من اللغة المحلية والإقليمية والعامية، فلغته أقرب إلى اللغة العلمية الرياضية الدقيقة، فهي لغة ذات دلالة صارمة تخضع فيها السمات الضمنية للكلام إلى رقابة صارمة، وبالتالي أدى التلغراف إلى اختفاء أشكال الكلام وأنماط الصحافة ورواية القصص، والحكايات الطريفة والشعبية الممتعة .(Carey, 1989, p.210)

ويمكن مقارنة تأثير التلغراف في القرن التاسع عشر في خروج لغته إلى بيانات مكتوبة مختصرة، ببعض وسائل التواصل الاجتماعي في أجهزة الحواسيب والهواتف المحمولة، فعلى سبيل المثال موقع التواصل تويتر يعتمد نشر رسائل نصية قصيرة محدودة في عدد الحروف.

وكذلك فقد تمّ تفسير الراديو في أوائل القرن العشرين على أنه وسيط جماهيري يتمتع بقوة لغوية وصوتية رائعة ويستطيع إقناع الكثير من المتلقين وإقناعهم بما يذيعه من أخبار وأفكار، إذ استطاع تغيير طريقة تفكير الجمهور المستمع، لكنه في ذلك الزمان كان يؤثر على عينة تستطيع تلقي البث الإذاعي في حيز مكاني، أما الآن، فقد أزيت الحواجز المكانية، فيمكن لصوت واحد أن يخاطب نظريا جميع سكان الأرض في وقت واحد. (Havelock, 1986, p.30)

ويتم في هذا الزمان من القرن الواحد والعشرين تعريف الهواتف المحمولة والذكية على أنها تقنيات لها آثار متعددة على التحولات المستقبلية في استخدام اللغة، إذ إننا نكتب بشكل متتالٍ ومتزايد باستخدام الوسائط الموجهة أساسا للتحدث، باللغة غير الرسمية التي نميل إلى استخدامها عند النشر على منصات وسائط التواصل الاجتماعي نحو مسنجر فايسبوك Facebook، أو بالأشكال المختصرة للغة التي نستخدمها عند إرسال الرسائل النصية أو بالتغريد على نحو تغريدات تويتر، أو بالقدرة على التبديل بين الدردشة عن طريق الكتابة وتسجيل الصوت أو التحدث عبر الفيديو بواسطة تطبيقات الإنترنت، مثل السكايب Skype، بالإضافة إلى الوسائط الحديثة عبر برامج وتقنيات شركة Google نحو Google Meet

وتستعمل وسائل الإعلام التقنيات السابقة في نقل الأخبار وتحليلها ومناقشتها، وزاد استعمالها بشكل ملفت للانتباه خلال الأزمة العالمية جائحة كوفيد–19، حيث صار كثير من المراسلات التلفزيونية واستقبال الضيوف يكون من البيت، بل إن محاضرات الجامعة ودروسها في مختلف التخصصات صارت تقدم من خلال التعليم عن بعد بشكل رسمي.

وخلقت الهواتف المحمولة سياقا جديدا لخلط اللغات وتبديل الشفرات، في المحادثات بوساطة تكنولوجية، وصارت مثل هذه اللغة الهجينة تشكل هوية ثقافية جديدة مرتبطة بالتكنولوجيا الحديثة، وبخاصة أنّ الهاتف المحمول صار رفيقا للمستخدم في كل مكان، في الغرفة والمنزل، والشارع والحافة، وفي ساحة المدرسة والجامعة، وغير ذلك من الأمكنة التي يتواجد فيها هذا المستخدم، وكلّ هذا يسهم في خلق لغة سريعة متعلقة بتطور التكنولوجيا وأساليب المحادثة والإيقونات الجديدة المصاحبة للغة الكلام والدردشة، ولا شكّ أنّ سرعة الكتابة الشعورية السريعة والتعبيرات الخاطفة، ستجعل الجمل ناقصة في تركيبها، كثيرة الأخطاء في قواعدها الصرفية والنحوية.

لقد أثّرت التقنيات الجديدة في الإنترنت والهواتف المحمولة على تدهور مهارات الكتابة وعدم احترام معايير استخدام اللغة لدى الطلبة خصوصا، والشباب عموما، إذ صاروا يكتبون بشكل أقل جودة، من الأجيال السابقة.

لكننا نتساءل هل أدت وسائط الإنترنت والهواتف المحمولة في الوقت الحاضر إلى عودة ظهور الكتابة من خلال تنسيقات جديدة مثل البريد الإلكتروني والرسائل النصية والنشر في مختلف المواقع الالكترونية، ومنها المجلات الالكترونية، وأظن أنّ المعالجات الالكترونية الآلية في تصحيح الإملاء والقواعد، في نوافذ الدردشة التابعة للفيسبوك مثلا وغيره، قد تسهم في العودة إلى احترام معايير اللغة، وبخاصة مع ظهور البث الصوتي ، وخلاصة أخبار RSS أو ما يسمى مجمعة الأخبار، التي تجمع الكترونيا في صفحة ويب، مواقع الأخبار والمدونات الصوتية والمرئية والكتب الالكترونية وغيرها في موقع واحد لتسهيل مطالعتها، ويمكن أن تكون على شكل تطبيق حاسوبي أو صفحة ويب.

إن مثل هذه المجمعات المعلوماتية الثقافية الالكترونية تسهم في تشجيع الثقافات الوطنية وتوحيد اللغة المكتوبة بشكل أكبر، من خلال الترويج للغة الإنجليزية كلغة دولية مشتركة، أو على الأقل كتابة ملخص في مقال علمي أو مداخلة أو قصة وما شابه باللغة الإنجليزية.

8. الترجمة الآلية:

اعتقد بعض الباحثين والفلاسفة في بأن أجهزة الكمبيوتر الرقمية ستحقق العالمية اللغوية من خلال التغلب على الاختلافات بين اللغات وداخل اللغة الواحدة في حد ذاتها، ومثال ذلك أنَّ عالم الرياضيات وارن ويفر Warren Weaver في عام 1949م، أوضحَ رؤيتَه وأملَه في الشمولية اللغوية في مذكرة أصبحت حافزًا لأبحاث الترجمة الآلية في الولايات المتحدة الأمريكية (Hutchins, 2000, p.17).

لقد توقع وارن ويفر أنْ تعمل أجهزة الكمبيوتر على حل مشكلة التنوع اللامتناهي للغات من خلال تحديد بنية أساسية عالمية تُبنى عليها جميع اللغات البشرية، وتوقع أنّ آلات الحوسبة ستكون قادرة على الترجمة بين جميع اللغات، لبناء جسر بين الأشكال المختلفة للتواصل البشري، إذ تتنبّأ "القاعدة المشتركة للتواصل البشري، التي وضعها ويفر بمجموعة عالمية من القواعد التي يجب أن تعمل بها جميع اللغات، (Weaver, 1955, p.23)

إنّ أيّ شخص اختبر تطبيقات الترجمة الحديثة عبر الإنترنت سيعرف أنّ حلم ويفر في طريقه إلى التحقق، إذ إنّ برامج الكمبيوتر الآن بإمكانها التعرف على الكلام البشري، لكن هدف اللغة الواحدة التي تجمع اللغات البشرية في بنية أساسية عالمية واحدة، يبقى بعيد المنال لحد الساعة، ففي حين أن الوعد بالترجمة الآلية قد ساعد البحث في تقنيات التعرف على الكلام منذ فترة طويلة، فقد بدأ علم الكلام بحلول السبعينيات من القرن الماضي في التخلي عن البحث عن لغة ويفر العالمية غير المكتشفة.

وبالرغم من روعة الطموح البشري في التحدث إلى الآلة، إلا أننا ما زلنا نستخدم تقنيات التعرف على الكلام في تطبيقات محددة في التسوق الالكتروني، والمساعد الصوتي الآلي الذي يقودنا إلى إصدار بيان ما، أو تطبيقات الهاتف

المحمول التي توجهنا من خلال سلسلة من الإجراءات المحددة إلى الهدف المراد، ومع ذلك كله، فإننا لسنا بحاجة دائما للتحدث إلى الآلة، فنحن في كثير من المواقف الاجتماعية والنفسية نحتاج أن نكلّم بشرا مثلنا.

9. خلاصة:

لم تبقَ اللغة والأصوات نشاطا إنسانيا فحسب، بل إنها تعدت ذلك لتصبح نشاطا الكترونيا، وارتباط اللغة والأصوات بالحاسوب ليس وليد اللحظة، فلطالما كان ارتباطها بالتكنولوجيا منذ القرن التاسع عشر، لكنها شهدت تطورا كبيرا، وصارت أكثر فاعلية حين استخدمتها أنظمة الوسائط المتعددة الحديثة بشكل متطور وفعّال، مما زاد من التفاعل بين الإنسان والآلة من خلال اللغة والكلام، وإن استعمال اللغة الجديدة فعلا يؤدي إلى تدهور اللغة، ولكن الآليات المتجددة التي تضع التصويبات اللغوية في تطبيقات الدردشة كفيلة بإعادة الكفّة إلى اللغة الأقرب للرسمية والأكاديمية.

أهم ما توصلنا إليه في هذا المقال نوجزها في النتائج الآتية:

– أبرز التقنيات والبرامج التي تؤثر في الناس وخصوصا الشباب هي برامج الألعاب، وتطبيقات مواقع التواصل الاجتماعي.

– النشر اللغوي والأدبي صار متاحا بشكل كبير ، مما يجعل الكم المعرفي متدفقا، ويحتاج إلى نظام غربلة أو تصنيف حتى يتمكن الباحثون من اعتماد المعرفة الالكترونية المتوفرة في الإنترنت.

– لا تزال بعض النشاطات اللغوية الثقافية المرتبطة بالتراث الشفوي غير مسجلّة تماما أو غير مسجلة بشكل رسمي في عالم الإنترنت، ومنها أغاني فناء المدرسة، وغناء ألعاب الأطفال في الحي.

– تسبب تطبيقات مواقع التواصل الاجتماعي، وبخاصة مسنجر المحادثة في تدهور اللغة الأكاديمية لدى الشباب، إذ صاروا يكتبون بسرعة ويعتمدون الإيقونات والاختصارات في الدردشة، إضافة إلى اللامبالاة بالأخطاء النحوية التي صارت تحدث بشكل ملفت للانتباه، ليس في الدردشة بين اثنين أو في مجموعة فحسب، بل في النشر الالكتروني كذلك.

– إن تطور العلاقة بين الإنسان والآلة قضى على كثير من مشكلات التواصل، والمشكلات النفسية والاجتماعية، كحواجز الوقت والخجل والجهد وما إلى ذلك، ولكنه لن يجعل الإنسان في غنى عن التحدث إلى أخيه الإنسان بعيدا عن واسطة الآلة.

10. قائمة المراجع:

1) Allen, Mark. 2006 (January 11). "Voices in the Air." *The New York Times*. Accessed March 2011.

2) Bakhtin, Mikhail. 1975/1981. *The Dialogic Imagination*. Translated by Caryl Emerson and

3) Michael Holquist. Austin: University of Texas Press.

4) Carey, James W. 1989. "Technology and Ideology: The Case of the Telegraph." *Communication as Culture*, 201—30. Winchester, UK: Unwin Hyman.

5) Clark, Katerina, and Michael Holquist. 1984. *Mikhail Bakhtin*. Cambridge, MA: Harvard University Press

6) Eisenstein, Elizabeth. 1979. *The Printing Press as an Agent of Change*. Cambridge: Cambridge University Press.

7) Hall, Stuart. 1997. "The Work of Representation." In *Representation: Cultural Representations and Signifying Practices*, 13—64. London: Sage Publications.

8) Havelock, Eric A. 1986. *The Muse Learns to Write: Reflections on Orality and Literacy from Antiquity to the Present*. New Haven, CT: Yale University Press.

9) Howsam, Leslie. 2006. *Old Books & New Histories: An Orientation to Studies in Book and Print Culture*. Toronto: University of Toronto Press.

10) Hutchins, John. 2000. "Warren Weaver and the Launching of MT: Brief Biographical Note." In *Early Years in Machine Translation*, 17—21. Amsterdam: John Benjamins.

11) McLuhan, Marshall and Quentin Fiore. 1967/2001. *The Medium Is the Message*. New York: Bantam.

12) McLuhan, Marshall. 1964. *Understanding Media: The Extensions of Man*. New York: McGraw-Hill.

13) Ong, Walter. 1982. *Orality and Literacy*. London: Routledge.

14) Weaver, Warren. 1955. "Translation." *Machine Translation of Languages: Fourteen Essays*, edited by William N. Locke and A. Donald Booth, 15—23. Cambridge, MA: Massachusetts Institute of Technology.